هذا ليس تصنيفاً بل هو مجرد تجزىء موضوعى بدائى لاينتظمه أى نوع من « النظام » .

وقد أردت من هذين المثالين إبراز حقيقة هامة ، وهى أن نظم التصنيف أو الترتيب التى أعدتها بعض المكتبات الكبيرة لا تصلح بوضعها هذا أساساً لنظام عربى للتصنيف ، وإذا كان هذا هو شأن دار الكتب وهى أكبر المكتبات فى المنطقة ، ومكتبة الأزهر وهى من أكبرها ، فإن ما يصدق عليهما يصدق على المكتبات الأصغر .

ولهذا فمن العسير أن نجد فيما فعلته تلك المكتبات أى عون فى إعداد نظام عربى للتصنيف .

ثانياً ـ التصنيف العشرى لديوى :

التصنيف العشرى هو أكثر خطط التصنيف العامة انتشاراً وشهرة فى العالم وفى المنطقة العربية ، كذلك انصبت الترجمات العربية المعدلة على هذا التصنيف . ولذلك فإن الحديث عن ديوى وتعديلاته له أهمية خاصة فى هذا البحث . وسوف نقتصر بقدر الإمكان على الجوانب النقدية ، أما الجوانب الوصفية فمكانها أى فصل عن التصنيف العشرى فى أى كتاب للتصنيف .

المكان الثابت :

لكى نعرف جذور التصنيف العشرى وإسهامه فى تطور التصنيف ينبغى أن نعرف طبيعة الأنظمة التى كانت تعمل فى الوقت الذى ابتكر فيه . كانت المكتبات فى ذلك الوقت تتبع ما يعرف بالمكان الثابت فكانت المكتبة تقسم إلى عدد من رءوس الموضوعات يخصص لكل منها دولاب أو أكثر ، يرقم بحيث يبدأ الدولاب الذى يليه بالرقم التالى مباشرة . فإذا زادت الكتب

فى دولاب ما عن العدد المخصص له لزم أن يعاد تنظيم المجموعات فى كل الأجزاء التالية وتغيير فهارس المكتبة تبعاً لذلك .

وقد كان من الممكن أن يبقى النظام لفترة طويلة فى وقت كانت المكتبات فيه تنمو ببطء شديد وكان استخدامها مقصوراً على الطبقات الأرستقراطية . أما فى أواسط القرن ١٩ فقد تغير الحال ، إذ نشطت حركة الديموقراطية ونشط معها استخدام المكتبات التى هى جامعات شعبية لذلك أخذت المكتبات تنمو بسرعة لإجابة طلبات القراء من الكتب ومواد المعرفة . ولم يعد نظام المكان الثابت يصلح إذ كان يتكسر بسرعة ويضيع معه جهد كبير فى إعادة إصلاح المكتبة .

جاء « ديوى » فى ذلك الوقت وفكر فى ابتكار نظام مرن يمكن المكتبى من الوقوف على أكتاف سابقيه . واختار « ديوى » لترقيم نظامه الأرقام بالطريقة العشرية . وطبع نظامه لأول مرة عام ١٨٧٦ .

وصدرت الطبعة الثانية عام ١٨٨٦ ، مشتملة على تغيير كبير عن سابقتها . ولكن « ديوى » وعد أنه لن يعود إلى التغيير مرة أخرى . وعلى هذا فقد ثبتت أرقام الألف الأولى (الخلاصة الثالثة) منذ ذلك الحين .

وقد نجح التصنيف العشرى وذاع بسبب مجموعة من العوامل تضافرت على هذا النجاح . ويمكن أن نلخصها فيما يأتى :

أولا — المميزات الفعلية التى انطوى عليها « ديوى » وكانت بالفعل تعد مميزات حقيقية بالنسبة للنظم العتيقة التى كانت سائدة . وأهم هذه المميزات :

١ — القوائم المقننة والمفصلة ؛

٢ ــ الرمز العشرى المرن .

٣ ــ الكشاف النسبي .

٤ ــ مميزات أقل وهى القسم العام والتقسيمات الشكلية ووسائل التذكر ، والتقسيمات الجغرافية .

هذه الأشياء ابتكرها ديوى وأصبحت أجزاء أساسية فى أية خطة تصنيف بعد ديوى . حدثت تحسينات فيها ، نعم ، ولكن الأساس كان من وضع « ديوى » .

ثانياً ــ أن الخطط التى جاءت بعد « ديوى » لم تتفوق عليه بصورة حاسمة تبرر التحول عنه إما لأنها لم تكن تفضله بالفعل ، أو لأنها لم تكن خططاً تامة يمكن الاعتماد عليها .

فالتصنيف الواسع « لكتر » ، وإن كان عملا ذا قيمة فى ذاته إلا أن صاحبه مات قبل أن يتمه ، فمات معه .

والتصنيف الموضوعى « لبراون » خطة تعكس آراء رجل واحد ، وهى آراء فجة فى كثير من الحالات خرج بها صاحبها على إجماع جمهرة العلماء والمصنفين فى ترتيبه لأقسام خطته ، ثم هناك أيضاً نظريته عن الكشاف الموضوعى (المخصص Specific) والمكان الواحد ، إلخ . وهى آراء لم تحظ بالقبول . أما « ديوى » فقد تعاون الأخصائيون معه فى بناء تصنيفه ، ثم تعاونوا من بعد فى إكماله ومراجعته .

وهناك تصنيف مكتبة الكونجرس ، وهو يمتاز مثل « ديوى » بالمتابعة والمراجعة وتوافر الإمكانات ولكنه لم يظهر بسرعة ، بل استغرق إعداده

وقتاً طويلا فلم تظهر مميزاته بسرعة . وحينما اكتمل كانت معظم المكتبات قد طبقت ديوى فلم يعد بالإمكان التحول عنه .

ونفس القول يصدق على « بليس » و « رانجاناتان » ، فلم تظهر خطتاهما إلا بعد أن طبع « ديوى » أكثر من عشر مرات .

والخلاصة أن المكتبات لم تجد أمامها إلا « ديوى » ، وحتى بعد أن اقتنعت بعيوبه لم تجد البديل الحاسم ، وهى مشكلة لا زلنا نعانى منها حتى الآن.

ثالثاً — إن الأرقام لغة عالمية سهلة التداول . وقد أدى هذا إلى انتشار الخطة بسرعة داخل الولايات المتحدة وخارجها ، كما أدى إلى استخدامها أساساً للتصنيف العشرى العالمى ، وهو يدعم « ديوى » ولا يعارضه .

رابعاً — قلة عدد الأقسام الرئيسية فى « ديوى » ، ثم استمرار تقسيمها بنفس الصورة ، فهذا وإن كان يثير سخرية العلماء والمناطقة ويحنقهم ، أو يؤدى إلى مصاعب عملية أمام المصنف ، إلا أنه من الناحية السيكولوجية يحمل طابع البساطة ويفرض نفسه على القارئ والمكتبى .

خامساً — ميل « ديوى » إلى عدم إحداث أية تغيرات أو إحداث أقل قدر منها عند الضرورة شجع المكتبيين الذين لا يميلون بطبيعتهم إلى إعادة التصنيف على استخدام الخطة . وقد ثبتت أرقام الألف الأولى من ديوى منذ الطبعة الثانية (عام ١٨٨٥) وسوف نوضح أثر ذلك على الخطة بعد قليـــل .

سادساً — ابتكر « ديوى » خطته فى بداية حياته العملية وعمره ٢٢ عاماً ، وعاش بعد ذلك دهراً طويلا حتى بلغ الثمانين ، يشرف على إعداد خطته

ومراجعتها وطبعها . وقد جمع حوله فى ذلك نخبة من زملائه وتلاميذه والمتخصصين فى الموضوعات المختلفة . فلم يمت « ديوى » إلا وقد أصبحت خطته عميقة الجذور فى مهنة المكتبات فى أمريكا والعالم .

سابعاً — كان « ديوى » عملياً قبل أى شىء آخر ، وكان كذلك بعيد النظر ، فعهد بخطته كما ذكرنا إلى هيئات كفلت لها الإمكانات المادية والبشرية اللازمة لمراجعتها وإصدارها بانتظام . وهذه نقطة هامة كانت السبب فى موت خطط أخرى غيره .

ثامناً — أخذت مكتبة الكونجرس تضيف أرقام « ديوى » على بطاقاتها المطبوعة التى تشتريها المكتبات ثم نقلت الخطة كلها إلى تلك المكتبة مما أتاح لها دعماً بشرياً وفنياً كبيرين .

تاسعاً — لما كانت أول خطة حديثة ابتكرت . فقد فرضت نفسها على مناهج مدارس المكتبات فى أمريكا والعالم . ويلاحظ أن « ديوى » قد أنشأ أول مدرسة للمكتبات فى العالم فى نيويورك ، وأنه كان أحد مؤسسى جمعية المكتبات الأمريكية ، وأول مجلة للمكتبات فى العالم ، وقد جعل له هذا نفوذاً واسعاً . وهذا أثر فى نشر خطته .

كذلك كانت الخطة الوحيدة التى يدرسها الطلبة — الذين يدرس لهم « ديوى » — ويتدربون عليها ، وهى فصل هام فى أى كتاب عن التصنيف ، والأمثلة العملية والنظرية منها دائماً .

كل هذا جعل من العسير على المكتبيين أن يفلتوا من تأثير « ديوى » مما جعل التصنيف العشرى يستأثر بالصورة فى الولايات المتحدة إلى حد مذهل — فى الولايات المتحدة نفسها من لا يعرفون أن هناك خططاً أخرى غير

« ديوى » متاحة ومناسبة للاستعمال . وهذا من ألغاز مهنة المكتبات فى أمريكا فى رأى « دانييـــل جور »[1] .

وقد جعل هذا خطة « بليس » ، وهى أفضل من ديوى من جميع الوجوه ، تفشل ولايستخدمها فى الولايات المتحدة ، وهى بلدها ، إلا المكتبة التى كان يعمل بها « بليس » نفسه .

ومع كل هذا النجاح ، فقد تعرض التصنيف العشرى فى حياة«ديوى » وبعد موته لانتقادات كثيرة . فمنذ ظهر التصنيف العشرى يبدى المكتبيون ، ومنهم معاصرون لديوى ، عدم رضاهم عن الخطة ويمكن أن نلخص فيما يلى أهم الانتقادات التى وجهت « لديوى » :

١ — الترتيب غير العلمى لأقسام الخطة الرئيسية . ثم للتفاصيل بعد ذلك . فقد اختار « ديوى » السهولة العملية على الترتيب العلمى ، ولذا حفلت خطته بأخطاء فى الترتيب ، ففيه وجوه جمع وفصل غير مفيدة ، لا ترضى المتخصصين كما ترهق المصنف والقارئ على السواء .

وأوجه الجمع والفصل غير السليمة كثيرة فى « ديوى » ، والمجال هنا لا يسمح بتناولها . وقد تتبعها النقاد وبخاصة « بليس » ، الذى أحصاها واحداً واحداً وملأ بها كتاباً من كتبه[2] ، ثم خلص فى نهاية إلى أن التصنيف العشرى لا يصلح أساساً لتنظيم المعرفة فى المكتبات ، وإذا أريد له أن يكون خطة عملية فلابد من إعادة بنائه بصورة كاملة .

---

(1) Gore, Daniel. A neglected topic ; the cost of classification. Library Journal, Vol. 89, No. 11, June, 1, 1964. p. 2287.

(2) Bliss, H. E. The Organization of knowledge in Libraries and the Subject approach to books, 2nd Ed. New York. Wilson. 1939.

٢ – ضيق الأساس العشرى ، فقد اختار ديوى الأساس العشرى ، ومع أن الأرقام لغة عالمية وسهلة التداول ، إلا أن الاقتصار على عشرة أماكن فقط فى كل خطوة من خطوات التقسيم لا يكفى احتياجات المعرفة الحديثة ، وقد جعل هذا « ديوى » يتحرك فى عشرات والمعرفة الحديثة لا تنمو بهذه الصورة الهندسية ، وهذا يقحم العلوم فى « فراش ضيق من صنع ديوى » .

٣ – ضيق الأساس العشرى جعل الرمز العشرى الذى كان يظن به المرونة الكاملة – رمزاً جامداً لا يتسع للتطورات الحديثة فى المعرفة – ونحيل فى هذا الصدد إلى الدراسة التى أجراها « بليس » عن مدى اعتماد المرونة – وهى أهم صفات الرمز – على سعة الأساس[1] .

٤ – سوء توزيع الرموز على الأقسام ، فقد أعطى « ديوى » العلوم التقليدية (الفلسفة – الدين – العلوم الاجتماعية – اللغات – الفنون – الأدب – التاريخ) معظم الرمز ، مع أنها علوم ستاتية ثابتة نسبياً ، وأعطى العلوم البحتة والتكنولوجيا قسمين فقط ، مع أنها علوم دينامية متطورة .

وقد أدى هذا إلى عدم استطاعة التصنيف العشرى استيعاب الموضوعات الجديدة فى أماكنها وأدى إلى طول أرقام التصنيف وخاصة فى التكنولوجيا إلى حد بعيد .

٥ – ثبتت أرقام موضوعات ديوى الرئيسية منذ ط ٢ (عام ١٨٨٥) ، وقد جعلها هذا عتيقة تعكس حالة المعرفة وإطارها العام فى ق ١٩ ولا تعكس

---

(١) انظر أيضاً جانب كتاب بليس السابق : عبد الوهاب عبد السلام أبو النور : دراسة مقارنة لبعض خطط التصنيف البليوجرافى لاستنباط الأسس لخطة عربية للتصنيف ، الفصل الأخير عن الرمز ، وخاصة الصفحات ٢٨٤ – ٢٨٨ .

الصورة الحالية ، ومما ساعد على هذا الوضع أن «ديوى» اتبع سياسة محافظة فى مراجعة الخطة تهدف إلى الحفاظ على سلامة ووحدة أرقام التصنيف .

٦ ــ التصنيف العشرى متحيز لوجهة النظر الغربية بعامة ووجهة النظر الأنجلو سكسونية بصفة خاصة . وهذه حقيقة معروفة لا ينكرها المحررون . وهى حقيقة جعلت « رانجاناتان » يعيد النظر فى قضية التصنيف كله حينما كان يدرس فى بريطانيا إذ وجد « ديوى » مشوهاً فى جميع المكتبات فأدرك أن لذلك سبباً جعل المكتبات تقدم على تعديله ، ففكر فى إصدار تصنيف الكولون . وهى أيضاً حقيقة جعلت « براون » يعد تصنيفه الموضوعى لكى يكون خطة بريطانية . مع أن بريطانيا أقرب ما تكون إلى الولايات المتحدة . فما بالك بالمكتبات العربية ، والأفريقية والآسيوية . لذلك فإن « ديوى » يعدل فى كل مكان لأنه لا يستوعب العلوم الخاصة بكل أمة ، بل ويعدل حتى فى المكتبات الأمريكية وهذا يتنافى مع دعوى التوحيد والعالمية ووحدة التطبيق الذى يزعمه « ديوى » .

٧ ــ لا يصلح التصنيف العشرى لكل الأغراض الحديثة . فهو إن صلح فللمكتبات العامة الصغيرة والمتوسطة ، ولكنه لا يصلح لكل أنواع المكتبات ومراكز المعلومات . فهو لا يصلح للمكتبات المتخصصة ، ولا يصلح لخدمة التوثيق واسترجاع المعلومات ، وهى من التطورات الحديثة الهامة فى مهنة المكتبى . وهذه أيضاً مسألة معترف بها لا ينكرها محرروه .

تلكم هى الانتقادات التقليدية التى وجهت إلى «ديوى» باستمرار ، وهذا هو الذى أدى إلى تتابع ظهور خطط جديدة . ولكن السنوات الأخيرة شهدت موجة أخرى من النقد وجهت إلى «ديوى» ، على أساس ومفهوم جديدين . وسوف نحاول تصويرها فى صفحات قليلة .

ذكرت من قبـــل أن الإطار العام « لديوى » قد ثبت منـــذ ط ٢ (عام ١٨٨٥) ولقد طبع ديوى حتى الآن ١٨ مرة ، كانت آخرها ط ١٨ (عام ١٩٧١) .

وقد تنازع ديوى منذ إنشائه حتى الآن سياستان للتحرير :

١ ــ متابعة تقدم المعرفة : أى محاولة استيعاب الموضوعات الجديدة وتجسيدها فى القوائم .

٢ ــ المحافظة على سلامة ووحدة أرقام التصنيف ، أى عدم إحداث تغييرات فى أرقام الموضوعات .

ولسوء الحظ فإن المبدأين متعارضان . وقد التزم «ديوى» سياسة محافظة ، فمنذ ط ٢ أعلن أنه لن يغير فى أرقام التصنيف . وهذا الإعلان وإن كان يطمئن المكتبيين إلى أنه لن تحدث تحركات عنيفة فى أرقام الموضوعات ، إلا أنه أثر على الخطة فيما بعد، إذ ثبت الإطار الأساسى لها منذ ذلك الحين ، وبذلك ظلت تعكس الإطار العام للمعرفة فى ذلك الوقت ، وأضحت الطبعات المتتابعة مجرد تغييرات سطحية ، فقد ظلت الخطة تكبر وتكبر ولكن دون تحسن ، وبذلك لم تعد المراجعة مجدية .

وظل الأمر على هذا حتى ط ١٢ التى كانت آخر طبعة صدرت فى حياة « ديوى » ، ثم ط ١٣ التى أعدت للطبع قبل وفاته . كذلك ظلت ط ١٤ تحمل طابع ديوى .

ولكن ابتداء من ط ١٥ (عام ١٩٥١) أخذ المحررون فى اتباع سياسة جديدة ، إذ رغبوا فى إصدار طبعة موحدة (Standard) فقد لاحظوا أن

ط ١٤ تتضمن تفاصيل كثيرة وأن أرقام التصنيف طالت فيها عن الحد اللازم فأرادوا ضغط التفاصيل فى الخطة كلها عند حد معين هو خمسة أعداد على الأكثر . ولذلك سميت الطبعة الموحدة – وقد اشتملت الطبعة على ظاهرة جديدة فى حياة التصنيف العشرى ، هى نقل كثير من الموضوعات من أماكنها وذلك لمعالجة العيوب فى الترتيب . ولذلك نقل ما يزيد على ١٠٠٠ من الموضوعات .

وقد اتضح فشل ط ١٥ فور صدورها ، لأسباب ليس هنا مجال تفصيلها . وبدأ التفكير فى إصدار ط ١٦ عشية إصدار ط ١٥ ، وكان على المحررين بطبيعة الحال أن يختاروا بين المبدأين اللذين أشرت إليهما . وقد اختاروا العودة إلى السياسة الأولى التى اتبعت حتى ط ١٤ ، مع فارق أساسى هو الإبقاء على معظم التحركات التى حدثت فى ط ١٥ ، بل أضافوا إليها المزيد فى ط ١٦ (عام ١٩٥٨) وعادوا بعدد من الأرقام إلى ط ١٤ ، وإلى سياسة التفصيل الشديد ، والمهم هنا هو ما حدث من الإبقاء على التحركات والإضافة إليها .

وظهرت ط ١٧ (عام ١٩٦٥) لكى تجسد عدداً من المشكلات التى ظهرت من قبل فى ديوى فقد أعلن محررها بنيامين كستر عدة نقاط يهمنا منها .

١ – أنها سوف تثير مشكلات متعددة بالنسبة للمكتبات الموجودة المستقرة . ولذلك فإن ط ١٦ سوف تبقى فى السوق لمدة طويلة ، ربما إلى ط ١٨ أيضاً .

٢ – التصنيف العشرى لا يمكن أن يظل ساكناً أو جامداً ، بل يمكن أن يتواءم مع احتياجات عالم متغير ، ولكن لا يمكنه أيضاً أن يتغير بسرعة

وبصورة جوهرية تفقده المميزات والفضائل التقليدية ولذلك فإن التغير الذى سوف يحدث هو أن الطبعة ١٨ سوف تنطوى هى الأخرى على تحريك ونقل للموضوعات وتوسيعات .

٣ – ولكنه يريد من المكتبيين ألا يتخوفوا لأن التغير سوف يتم تدريجياً لا طفرياً .

والخطير فى كلام « كستر » هو مشكلة نقل الموضوعات من أماكنها ، فقد ذكرنا أن ط ١٥ قد خرجت على سياسة الخطة التقليدية ونقلت كثيراً من الموضوعات من أماكنها ولكن المحررين عادوا بسياسة الخطة إلى ما كانت عليه قبلا . ومع أن ط ١٦ أبقت على معظم التحركات إلا أنها وعدت بعدم تكرار ذلك وباتباع السياسة المحافظة مرة أخرى .

ولكن فى ط ١٧ فوجئ المنتفعون بالخطة بعدد كبير من التحركات : ٧٤٦ تغيراً فى أماكن موضوعات كانت فى ط ١٦ ، و ٨٩ تغيراً فى قائمة الأماكن ، و ٩ فى قائمة التقسيمات الفرعية الموحدة . والأخطر من ذلك أن « كستر » يعلن أنه لا مفر من إحداث التغيرات فى المستقبل ، ومعنى ذلك أن التغير أصبح سياسة ثابتة للخطة ، وذلك لأن الخطة جامدة لا يمكنها استيعاب التغيرات فى المعرفة إلا بتغيرات مثلها فى بنيان الخطة وتحريك فى موضوعاتها .

ولهذه المشكلة انعكاسات عملية فى غاية الخطورة : فإن الاعتراض الرئيسى على نقل الموضوعات هو دائماً ضرورة الاطراد فى التصنيف وهو من القواعد الأولية فى التصنيف ، بمعنى أن الكتب التى تتناول موضوعاً واحداً لابد وأن تحمل رقماً واحداً للتصنيف . وهذا يعنى أن على المكتبة أن

توحد أرقام التصنيف العشرى التى تغيرت مع كل طبعة — أى أن تعيد تصنيف الكتب القديمة . ومعنى هذا أن كل طبعة جديدة تفرض على المكتبة إعادة تصنيف جزئية . ومع السرعة فى إصدار الطبعات (٥,٢٤ سنة فى المتوسط) تتضاعف المشكلة .

ولو افترضنا أن المكتبة سوف تتهرب من مشكلة التوفيق هذة بين المجموعات القديمة والجديدة لوجدنا أن ذلك سوف يحطم كل أساس نظرى وعملى للتصنيف لأنه سوف يقسم الموضوعات ومعها المجموعات إلى قسمين : قسم قديم وقسم جديد ، وهذا يحطم وحدتها . ومع السرعة فى إصدار الطبعات سوف تتضخم هذه المسألة بحيث تصل المجموعات بعد ذلك إلى حالة من الفوضى .

وقد لخص « إيفانز » المشكلات التى تنجم عن الطبعات المتتالية للتصنيف العشرى وما تعنيه من تأثيرات على المكتبة والخدمة المكتبية والعمل اليومى للموظفين . ونظراً لأن القضية تعنينا هنا فى المنطقة العربية — أى قضية تتابع الطبعات ، فلا بأس من تلخيص لأهم النقاط التى ذكرها « إيفانز » :

١ — أن كل طبعة من التصنيف العشرى (والحديث هنا عن ط ١٧) سوف تفرض على ٩٠ ٪ من المكتبات (أى تلك التى تستخدم ديوى) الأعباء الإضافية التالية :

(أ) مقارنة وفحص أرقام ط ١٧ مع ط ١٦ لمعرفة التغيرات الـ ٧٤٦ ، ما هى وأين توجد ؟

(ب) سوف يفرض هذا على المصنفين أعباء كثيرة تؤدى إلى شغل وقتهم وجهودهم ، وسوف يؤدى هذا إلى حرمانهم من المقابلات التى

يتناقشون فيها لمصلحة العمل . ولو استمر معدل إصدار الطبعات كما هو عليه فسوف يجد المصنفون أن تقييم كل طبعة جديدة قد أصبح جزءاً منتظماً من عملهم الفنى فى الإعداد .

٢ – إلى جانب ذلك هناك ثلاث مشكلات :

(أ) أصعبها مشكلة تغيير المقتنيات على حسب أرقام التصنيف التى تغيرت ، وما يترتب على ذلك من ضرورة تغيير جميع أجزاء السجلات الأخرى التى تتصل بها .

(ب) هناك مشكلة الأرقام الموسعة والمتقلصة . والأولى هى الأرقام التى وسعت لاستيعاب موضوعات جديدة ، والثانية هى الأرقام التى بطل استعمالها وأصبحت خالية تنتظر موضوعات جديدة .

والمحررون لا يشيرون إلى النوعين . ومشكلة الأرقام الموسعة هى ضرورة الحاجة إلى معرفتها وهذا يستدعى مراجعة القوائم القديمة على الجديدة .

أما الأرقام المتقلصة فإن المصنفين لا يعرفون هل يستخدمونها أم ينتظرون فترة الـ ٢٥ عاماً التى حددها المحررون لإعادة استخدامها . ثم ما هو موقف المجموعات التى تحمل أى واحد من أرقام النوعين ؟

(ج) الأرقام التى أسقطها المحررون من القوائم تماماً . وهذه لم يشر المحررون إليها على كثرتها .

٣ – لكل هذه المشكلات وما يترتب عليها من إنفاق للوقت والجهد

والمال – وجزء كبير منها يضيع سدى – بدأ بعض المكتبيين ينظرون إلى الموضوع كله نظرة جديدة . وهنا وجدوا أن تصنيف مكتبة الكونجرس أكثر ثباتاً ، وهو أقدر بالفطرة على استيعاب التغير ، كما أنه لا يورط المنتفعين به فى فيض من الطبعات الجديدة . ثم بدءوا يقارنون تكاليف الاستمرار فى اتباع ديوى مع تكاليف التحول إلى الكونجرس .

وقد قام « إيفانز » بدراسة مفصلة لاقتصاديات التحول إلى الكونجرس مستخدماً أرقام الأجور النمطية ، ومستخدماً الأرقام التى توصلت إليها فعلا مكتبات تحولت ، مثل مكتبة جامعة أوريجون . ويهمنا هنا فقط النتيجة النهائية لهذه الدراسة . فقد وجد أنه :

بمقارنة الأرقام : أرقام الاستمرار مع « ديوى » ، وأرقام التحول إلى الكونجرس ، يتضح أنه فى السنة العاشرة من عملية إعادة التصنيف سوف تزيد تكلفة تصنيف مكتبة الكونجرس (فى مكتبة يبلغ عدد مجموعاتها ١٠٠,٠٠٠ مجلد) ٢٤٦٠ دولاراً عن تصنيف ديوى . على أنه فى السنة التالية سوف يحقق استخدام الكونجرس فائضاً قدره ٢٣٨٠ دولاراً سوف تتزايد باستمرار . والنقطة الفاصلة هنا هى أن أرقام تصنيف الكونجرس تصدر على كل بطاقات مكتبة الكونجرس المطبوعة وعلى هذا يمكن للمكتبة أن توفر مبالغ كبيرة بشرائها جاهزة . هذه هى الاقتصاديات العملية فقط دون أن يعرج الكاتب على المميزات الأخرى . والنتيجة هى :

أن الأوفر والأنسب للمكتبات الكبيرة أن تتحول إلى تصنيف الكونجرس ، وأن استخدام ديوى ترف باهظ لا تقدر عليه إلا مكتبات قليلة[1] .

(1) Evans, E. G. Dewey : Necessity or luxury. Library Journal, Vol. 91, No. 16, Sept. 15, 1966, pp. 4038-46.

الأرقام التى تغيرت ، ومن ثم يحدث ما أشار إليه « إيفانز » من تدمير وحدة الموضوعات ، إذ توضع كتب الموضوع الواحد تحت أكثر من رقم . وبمرور الوقت يمكن أن نصل إلى حالة من الفوضى . إذ ما الذى يمكن أن يحدث بعد خمسين سنة مثلا ، وهى سنوات محدودة فى عمر أى مكتبة . إذا حدث أن تغير فى كل طبعة مثلا العدد الذى تغير فى ط ١٧ (٧٤٦ مكاناً) أو حتى ط ١٨ (٤٠٠ مكان) إذا عرفنا أنه فى خلال هذه السنوات سوف يصدر على الأقل تسع طبعات جديدة .

إن نصف مجموعات المكتبة على الأقل ستكون مصنفة بأرقام غير النصف الآخر ، وهذا يدمر كل أسس التصنيف .

٢ ــ وأما أن تظل المكتبة على الطبعة القديمة ، وهذا هو ماحدث فى معظم المكتبات التى أعرفها فى مصر . فعظمها لا يزال يستخدم ط ١٦ أو ط ١٧ ولا يستخدم ط ١٨ . ولنا أن نتصور أيضاً حالة هذه المكتبات بعد خمسين سنة . لاشك أن تصنيف مجموعات هذه المكتبات سيكون مزيجاً عجيباً من طبعات متعددة : بعض أرقام من هذه ، وبعض من تلك . وهذا من شأنه أيضاً أن يحطم وحدة الموضوعات والمجموعات وأن يتلف كل أسس التصنيف .

هذا فضلا عن أن الطبعات التى تستخدمها المكتبات حينئذ ستكون شيئاً مختلفاً تماماً عن الذى كان «ديوى» يعتز به ، والذى لم يتحقق لخطته أبداً ، مع أن خطته قد انتشرت بفضلها فى أجزاء كثيرة من العالم .

وسوف نرى بعد قليل مصداق ذلك من واقع التعديلات العربية «لديوى» .

لذلك فإن كثيراً من المكتبات فى الولايات المتحدة وخاصة الجامعية قد أخذت تتحول إلى تصنيف مكتبة الكونجرس . وقد بلغ عددها ٢٠٠ مكتبة على الأقل .

وإن قدسية « ديوى » تتعرض فى أمريكا لهز عميق وهجوم شديد من جانب جماعة تطلق على نفسها جماعة موت ديوى . ومن رجالها « دانييل جور » و « دزموند تايلور » وغيرهما . وقد انتهت الجماعة إلى أن « ديوى » قد مات وانتهى فعلا .

أثر تتابع الطبعات على المكتبة العربية :

لاشك أن انعكاسات المشكلة على المكتبة العربية أعمق وأشد تركيزاً . ذلك أن الطبعة الجديدة من « ديوى » تصل إلى المكتبات فى مصر مثلا بعد ظهورها فى بلدها بسنة ، ثم يكون شأن آخر . فنحن تحدثنا عن مكتبات تواجه مشكلة التوفيق بين مجموعات قديمة وحديثة ، وهى مشكلة وقت وجهد وتكلفة من جانب مكتبيين يعرفون ماذا يريدون وكيف ينفذونه . ولكن الكثيرين عندنا لا يعرفون ماذا يريدون ولا كيف ينفذون . ولذلك فإن الطبعة الجديدة من « ديوى » قد لاتشترى على الإطلاق ، لأن البعض لا يعرفون أن طبعة جديدة قد صدرت . وحينما يعرفون يكون الوقت قد مضى فلا تصل إلا بعد مدة . وبعد أن تصل لا يعرفون كيف يستخدمونها ولا ما هى خصائصها .

والله وحده يعلم كم من المكتبيين العرب وقف أمام ط ١٧ ، ثم ط ١٨ ، لا يدرون ماذا يفعلون . وتكون النتيجة أحد أمرين :

١ ــ إما أن تستخدم الطبعة الجديدة دون معرفة بخصائصها ولا ما هى

الترجمات العربية المعدلة من موجز التصنيف العشرى :

ذكرنا من قبل أن « ديوى » هو أشهر خطط التصنيف وأكثرها ذيوعاً فى المنطقة العربية . فالمكتبات العربية التى تستخدم نظاماً عالمياً تستخدم « ديوى » فى الأعم الأغلب من الحالات ، وقليل منها يستخدم « التصنيف العشرى العالمى » ، وهو أيضاً يعتمد على « ديوى » . وهناك مكتبة واحدة فقط —فيما نعلم— تستخدم تصنيف « بليس » هى مكتبة جامعة الخرطوم . أما تصنيف مكتبة الكونجرس فتتحول إليه الآن مكتبة الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، وتدرس مكتبة جامعة القاهرة إمكانية التحول إليه سواء بالنسبة لمجموعاتها القديمة أو الحديثة [1] .

لذلك فقد انصبت جهود المكتبيين العرب فى الترجمة والتعديل على «ديوى» . أو بالأحرى على موجز له . وأهم هذه التعديلات :

١ — تعديل للفيكنت فليب دى طرازى (بيروت) .

٢ — تعديل ليوسف أسعد داغر (بيروت) .

٣ — ترجمة عراقية للألف الأولى من «ديوى» نشرها السيد نهاد عبد المجيد (بغداد) .

٤ — تعديلات نشرها خالد الحديدى (القاهرة) .

٥ — تعديل حسن رشاد (القاهرة) .

٦ — تعديل مدحت كاظم (القاهرة) .

---

(١) المفروض أن يعتمد هذا البحث على معلومات تتعلق بنظم التصنيف المستخدمة فى المكتبات العربية تجمع من ردود المكتبات على مجموعة من الأسئلة أرسلتها إدارة التوثيق والإعلام بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . ولما كانت الردود لم تصل بعد ، فإن الكلام هنا يعتمد على المعرفة الشخصية للكاتب ، والتى قد لا تكون كاملة نظراً لضعف وسائل الاتصال .

٧ ــ تعديل على إمام عطية (القاهرة) .

٨ ــ تعديل عبد الدائم أبو العطا (القاهرة) .

٩ ــ تعديل الدكتورين محمود الشنيطى وأحمد كابش (القاهرة) .

وقد انصبت التعديلات على الدين الإسلامى واللغة العربية والأدب العربى والتاريخ العربى وبعض المواضيع فى الفلسفة والقانون والإدارة العامة .

وليس القصد فى هذا البحث هو الدراسة المفصلة لهذه التعديلات ونقدها من الناحية الخارجية أو الداخلية وتتبع التعديلات لمعرفة هل تمت بنجاح أو لا ، وهل هى كافية أو لا ، كما لا نقصد إلى دراسة التعديلات على ضوء المعايير الحديثة للتصنيف ، لأن هذا كله سوف يشغل صفحات طويلة من شأنها أن تطيل البحث أكثر مما طال .

لذلك فسوف نكتفى بمجموعة من الملاحظات العامة نجملها فيما يأتى :

١ ــ اعتمدت هذه التعديلات على التصنيف العشرى وهو خطة معيبة أصلا ، ولا شك أن كل ما يصدق على الأصل من انتقادات ينسحب على التعديلات ، فيما عدا أن هذه التعديلات تزعم أنها وفرت لاستيعاب الموضوعات العربية والإسلامية ، وهو زعم مشكوك فى صحته ، نظراً لما تحتاج إليه هذه العلوم من تفاصيل لم توفرها هذه التعديلات . ويمكن أن يتضح ذلك من تصفح رءوس الموضوعات التى سجلت لهذه الموضوعات فى التعديلات .

٢ ــ أن هذه التعديلات ــ باستثناء تعديل الدكتور الشنيطى ــ لا تعتمد على طبعة معتمدة من «ديوى» وإنما تعتمد على الألف الأولى فقط . وقد اعتمد

الدكتور الشنيطى على ط ٨ الموجزة (١٩٥٩) ، وهى للمكتبات الصغيرة والمدرسية .

وهذا العنصر وحده يكفى للدلالة على عدم صلاحية هذه الترجمات المعدلة اللهم إلا للمكتبات الصغيرة جداً .

٣ ــ أقدم هذه الأعمال هو عمل فيليب دى طرازى الذى أعد ترجمة معدلة لمزيج من موجز التصنيف العشرى ، والعشرى العالمى ظهرت فى كتابه إرشاد الأعارب إلى تنسيق الكتب فى المكاتب (بيروت ، ١٩٤٧) ، وأحدثها هو عمل الدكتورين محمود الشنيطى وأحمد كابش : موجز التصنيف العشرى ، الجداول (ط ٢ ، ١٩٧٠) . وفيما بينهما تقع الأعمال الأخرى .

ويلاحظ بصفة عامة أن أحداً منهم لم يجدد عمله ، فقد صدرت طبعات متعددة من التصنيف العشرى كاملة وموجزة ، ولكن هذا لم ينعكس على الأعمال بحيث يترتب على الطبعة الجديدة من ديوى طبعة جديدة من الترجمة المعدلة . ولا يستثنى من هذا موجز التصنيف العشرى للدكتورين الشنيطى وكابش الذى صدرت طبعته الأولى معتمدة على ط ٨ الموجزة من التصنيف العشرى ويقابلها ط ١٦ الكاملة (عام١٩٥٨)، ولكن حينما صدرت الطبعة الثانية (١٩٧٠) كانت الطبعة ١٧ الكاملة من « ديوى » والطبعة التاسعة الموجزة (١٩٦٥) قد صدرتا ، ولكن لم يترتب على صدورهما أى تغيير فى الطبعة الثانية العربية فصدرت مثل طبعتها الأولى تماماً باستثناء صفحة العنوان التى حملت رقم الطبعة الثانية .

وبعد ذلك صدرت ط ١٨ الكاملة من « ديوى » ومعها ط ١٠ الموجزة (ديسمبر ١٩٧١) ولم يترتب على صدورهما أية محاولة من جانب المترجمين العرب لتجسيد التطورات الحديثة التى طرأت على « ديوى » الأصلى .

هذا فى حين أن « ديوى » الأصلى قد حدثت به تعديلات كثيرة هامة سواء فى سياسة تحريره أو فى محاولته متابعة الموضوعات الجديدة ، أو فى تغيير أرقام كثير من موضوعاته ، ومن أهم التعديلات على سبيل المثال لا الحصر :

(أ) إعداد قائمة جديدة تماماً لعلم النفس فى ط ١٧ حلت محل القائمة القديمة له .

(ب) أرقام الأماكن كانت فى الطبعات السابقة حتى ط ١٧ تسحب من قسم التاريخ . وابتداء من ط ١٧ أعدت قائمة مستقلة للأماكن **Area Table** فصلت عن قسم التاريخ وتطبق عليه كما تطبق على غيره .

(ج) قائمة جديدة للتقسيمات الشكلية تحمل اسماً جديداً هو التقسيمات الموحدة **Standard Subdivision**

(د) تغير أماكن ٧٤٦ موضوعاً فى ط ١٧ و ٤٠٠ موضوع فى ط ١٨

(هـ) ط ١٨ تصدر لأول مرة فى ثلاثة مجلدات يشمل الأول منها المقدمات والقوائم الإضافية (التقسيمات الموحدة ، المكان ، إلخ). والثانى للقوائم ، والثالث للكشافات .

(و) بدلا من اثنتين من القوائم الإضافية فى ط ١٧ (التقسيمات الموحدة ، والأماكن) اشتملت ط ١٨ على ٧ قوائم منها خمس جديدة كل الجدة .

وبطبيعة الحال ليس هنا متسع لدراسة خصائص الطبعات الحديثة من

«ديوى» ، أردت فقط أن أوضح أن هناك تعديلات جوهرية تجعل «ديوى» الحالى يختلف كثيراً عنه منذ طبعتين .

٤ ــ التعديلات العربية بدون كشافات ، ولن نتحدث هنا عن أهمية الكشاف كمكمل لخطة التصنيف وعون على إجراء التصنيف العملى بدقة ويقين ، فلا شك أن كل من يعمل بخطة تصنيف يعرف قيمة الكشاف ، وأنه جزء لا يتجزأ من نظام التصنيف .

وقد اقتصرنا على الملاحظات العامة السابقة لأنها وحدها تكفى للتدليل على أن التعديلات العربية كما هى لاتصلح أساساً لما ننشده لمكتباتنا من دقة التصنيف ومن متابعة تقدم المعرفة ، وهى لا تصلح للوفاء بمتطلبات الخدمات الوثيقية والإعلامية الحديثة . وإذا كان ديوى الأصلى ، مع كل مايقوم به محرروه من جهود للتغلب على المشكلات التى يواجهها ، يهاجم فى بلاده فإن الأحرى بنا أن نرفضه ، وإذا كانت المكتبات الأمريكية تتحول عنه الآن بعد أن استخدمته مائة سنة ، فهل ينبغى علينا أن نبدأ نحن فى استخدامه الآن بعد أن اتضح عدم كفايته ، هل ينبغى أن نمر « بمرحلة ديوى » كما مرت بها المكتبات الأخرى ، أم نختار طريقنا من البداية .

الخطة العربية للتصنيف :

لقد اتضح للكاتب أن التصنيف فى بلادنا يقف فى مفترق طرق أقسى وأمر من ذلك المفترق الذى يقف فيه التصنيف بصفة عامة ، ويتمثل ذلك فيما يأتى :

١ ــ أن المكتبيين العرب فى حيرة من أمرهم ، فليس هناك خطة صالحة للتطبيق كما هى ، كما أن التعديلات لم تحقق لهم ما كانوا يريدون .